# اشكالية القضاء والقدر في الشعر الجاهلي وعصر صدر الإسلام

# The problem of fate and destiny in pre-Islamic poetry and the era of early Islam


**الاستاذ المساعد الدكتور**

**فاضل عواد الجنابي**

.Assistant Professor Dr

Fadel Awad Al-Janabi

**كلية السلام الجامعة**

University College of Al-Salam

# خـــلاصة البحث

لم يعرف العرب في العصر الجاهلي القضاء والقدر فكرتين متلازمتين لاانفصام بينهما بل ذكر الشعراء مايحذرون منه ويخافون كالفراق والرحيل والاجل والموت وبعد ظهور الاسلام اصبحت الفكرتين واضحتين وعلى المسلم الايمان بهما خيراً كانتا ام شراً وكان للإيمان بالقضاء والقدر اثره البالغ في انهاء التنافس من اجل المال والسلطه والجاه الدنيوي ومن ثم تخلصوا من الامراض القلبية كالحسد والحقد والكراهية وما والاها فاطمأنت القلوب وهدات النفوس ولولا ذلك الايمان لما انتشر الاسلام حتى وصل ال حدود الصين محرراً البشرية من العبودية والوثنية والتعصب للعرق والجنس والخلق جميعاً سواء بالحقوق إذ هم عباد الله سبحانه ويبقى الباب مفتوحاً امام كل باحث مجتهد يستنبط ويستنتج احوالاً واموراً اخرى غابت عني والحمد الله اولاً واخراً .

الكلمات المفتاحية: مشكلة، القضاء والقدر، الشعر الجاهلي.

Abstract

In the pre islamic era, Arabs did not know that fate and destiny are two closely related opinions. Arab poets mentioned what they are afraid of namely separation , departure and death.

After the rise if Islam, the two opinions became obvious and the Muslim has to believe in whether they are good or evil.The belief in fate and destiny has its effective impact in putting an end for the competition for finance and authority. As a result, they got rid of heart diseases as envy and hatred which leads to heart and soul tranquility .Islam would not have been able to spread to the borders of China without that belief. Islam liberated humanity from the yoke of paganism and racism. All people enjoy the same rights since they are the family of Al-Mighty God. At last, I recommend other researchers to pursue other related issues that I have not dealt with.

Keywords: problem, predestination, pre-Islamic poetry.

## (( إشكالية القضاء والقدر في الشعر الجاهلي وعصر صدر الإسلام ))

تُعد مسألة القضاء[١] والقدر[٢] من أكثر القضايا إشكالية في الفكر الإسلامي عامة والعربي خاصة، والتأريخ عند أغلب المؤرخين: «تأريخ قدري يرتبط بحدوث الوحي، وإفصاح السماء عن الحقائق الأزلية، والإشارة إلى أن أفعال الإنسان وما يقوم به بصنعه على مستوى الحياة أو على مستوى الفكر يخضع لمشيئة السماء»[٣]، والقضاء والقدر متلازمان فلا ينفك أحدهما عن الآخر، لأن القدر بمنزلة الأساس، والقضاء بمنزلة البناء[٤]، إذ كل شيء قدر مقدور، وماهية معلومة في العلم الأزلي لله تعالى قبل خلقها على وفق ذلك القدر[٥]، وتكلم بعض فلاسفة اليونان في القدر، فمنهم من آمن بوجوده، وآخرون أنكروا ذلك، ومن الذين أنكروا القدر الفيلسوف (انسكيمندريس)[٦] وبأنه لا فعل له، وليس هو الفاعل، بل العقل هو المسؤول عن ذلك لأنه «ألطف الأشياء وأصفاها، بسيط، مفارق للطبائع كلها.... عليم بكل شيء، قدير على كل شيء، متحرك بذاته»[٧]، وآمن خاتم الأطباء اليونان (جالينوس)[٨] بالقدر وذلك

---

(١) القضاء: هو ظهور قدر الله الأزلي إلى حيز الوجود بالخلق والحدوث/ انظر، ما القدر ؟/ محمد قرقنجي، ص٢٠.

(٢) القدر: هو التعيين والتحديد بنظام وسنن معينة منذ الأزل من لدن الله سبحانه وتعالى لجميع أحوال الموجودات والحوادث وصفاتها وأسبابها ولوازمها، وما تحوز من قوى وقابليات وأماكن ظهورها إلى الوجود وأزمنها/ م.ن، ص١٩-٢٠.

(٣) القدر والإنسان/ محمد جلوب، ص١١١.

(٤) مسألة القضاء والقدر/ عبد الحليم محمد، ص١٢.

(٥) ما القدر؟/ محمد قرقنجي، ص٨٢.

(٦) فيلسوف يوناني، مات سنة ٥٤٧ ق.م/ تأريخ الفلسفة اليونانية/ يوسف كرم، ص١٤.

(٧) م.ن، ص٤٢-٤٣.

(٨) هو الحكيم الفيلسوف اليوناني جالينوس، له مئة مؤلف في الطب وغيره، توفي سنة ١٩٩م/ موسوعة الفلسفة والفلاسفة/ د. عبد المنعم الحفني: ١/ ٤٤٤.

حين اشتد عليه المرض وشارف على الموت قيل له: «ألا تتداوى؟!» قال: «إذا نزل قدر الرّب فلا حذر للمربوب[١]، ونِعمَ الدواء الأجل»[٢]، أما الرواقيون[٣] فقالوا: «إن كل شيء في الطبيعة إنما يقع بالعقل الكلي أو بالإرادة الإلهية أو بالقدر، فنعدُّ ميوله وظائف لتحقيق مدة الإرادة الكلية ويقبل مفاعيل القدر طوعا» ومادام القدر مغيّباً عنا فالإنسان إذا «ابتُلي بمرض أو أصابته مصيبة آثر ذلك، لعلمه أنه مقدّر عليه، في تول له الخير الحقيقي في كل حال» وعليه أن يصمد للدهر ونوائبه «لا يخاف ولا يرجو لا يأسف ولا يندم، بل يرتفع بنفسه فوق كل شيء، ويحتفظ بحريته، وينعم بفضيلته»[٤]، وقال فيلون الاسكندري[٥]: «كل شيء مقدور لله، فالله وحده يعلم المستقبل، والله وحده يصنع المعجزات»[٦]، وفي الديانة الهندوسية محاورة جرت بين بطلين من أبطال الهندوس المقدسين: كرشنا وأرجنا، وذُكر القدر في تلك المحاورة، إذ قال كرشنا لأرجنا: «يا أرجنا!! يفنى الجسد ولا فناء للروح.... فعليك يا أشجع الشجعان أن تبعد الأفكار الباطلة عن نفسك، وأن تتأهب للقتال، لأن واجبك هذه الساعة القتال.... إن القدر ساق إليك هذه الحربِ التي ليست إلا باباً للجنة، والسعيد من تسنح له فرصة كهذه، وأنت إن ضيعتها تبوء[٧] بإثمك»[٨].

---

(١) المربوب: المخلوق وهو الإنسان.

(٢) سرح العيون/ لابن نباته المصري، ص٢١٩.

(٣) الرواقية: طائفة فلسفية يونانية أسسها زينون، ولها مقولات في المنطق والطبيعة والأخلاق/ تأريخ الفلسفة اليونانية/ يوسف كرم، ص٢٢٢-٢٢٩.

(٤) م.ن، ص٢٣٠.

(٥) من ممثلي الفكر اليهودي المتأثر بالثقافة اليونانية المتوفى سنة ٥٠م/ م.ن، ص٢٤٧.

(٦) م.ن، ص٢٥١.

(٧) باء بإثمه: أقرّ واعترف به، باؤا بغضب من الله: رجعوا به/ مختار الصحاح/ لأبي بكر الرازي، مادة: بوأ.

(٨) أديان الهند الكبرى/ د. أحمد شلبي، ص٨٨-٨٩.

فالديانات القديمة وفلاسفة اليونان وغيرهم قد ذكروا القدر في مقولاتهم وعقائدهم لعلاقته الحتمية بمصير الإنسان وكيانه المهدّد على الدوام، إذ يُعدّ معضلة فكرية لابد من دراستها ومتابعة مراحل التطور العقلي عند العرب عامة والشعراء خاصة، إذ هم صفوة المجتمع القبلي، ومادام الشعر ديوان العرب والخزانة المعرفية للموروث الثقافي والشعبي فمن الممكن الاستشهاد به والاعتماد عليه كوثيقة تأريخية وظهيراً للمؤرخين والباحثين وأرباب اللغة، والمفسرين ورجال الفقه والحديث وغيرهم من أساطين العلم ورواد المعرفة، ونستقرأ الشعر العربي للإحاطة علماً بما ورد ماله علاقة بالقضاء والقدر، وقطب البحث هو موقف الشاعر الفكري والوجداني والاجتماعي والديني من المتغيرات وظروف البيئة القاسية وكثرة التحديات لهذا كان ذا منزلة متميزة في سلم الرتب الاجتماعية وأثره البالغ في حياة مجتمعه القبلي، إذ كانت القبائل تهنئ القبيلة عند ظهور شاعر مجيد، فتقام الأفراح الولائم، ويتباشر الرجال والولدان بسبب ذلك، وكانوا لا «يهنئون إلا بغلام يولد أو شاعر ينبغ، أو فرس تنتج»[1]، ويعد الشاعر مؤرخاً لأحداث وحياة قبيلته، إذ هو شاهد عيان على عصره، والذي يؤكد أهمية الشعر تأريخياً وأثره المعرفي قول الراعي النميري:

لنا جمـراتٌ ليس في الأرض مثلها ... كـرامٌ وقد جرّ بنَ كلَّ التجارب[2]

نـمـيرٌ وعـبـسٌ يُـتـقّـى نفيانُها ... وضبعةَ قوم بأسهمُ غير كـاذبِ[3]

(١) العمدة/ ابن رشيق القيرواني: ١/ ٦٥، ٨٢.

(٢) الجمرات: هي القبائل التي لا تتحالف مع غيرها لقوتها ومنعتها وعزتها، وهي أربع: نمير وضبعة وبنو عبس وبنو الحارث بن كعب/ المحبر/ لابن حبيب، ص٢٣٤.

(٣) شعر الراعي النميري/ د. نوري القيسي، هلال ناجي، ص٣.

فعلمنا مما قال أسماء القبائل التي عرفت بالجمرات وهي التي لا تحالف أحداً لقوتها ومنعتها وعزتها، وكان للعرب معرفة تامة بتأريخهم وما جرى للأقوام الغابرة التي سادت فبادت وغيرها من الأمم، وهذا ما ورد في قول زهير بن أبي سلمي:

بدا لي أن لست مُدركَ ما مضى ... ولا سابقٌ شيئاً إذا كان جائيا
ألم تر أن الله أهلك تُبّعاً ... وأهلك لقمانَ بن عادٍ دعايا[1]
وأهلك ذا القرنين من قبل ما ترى[2] ... وفرعون جباراً طغى والنجاشيا[3]

وكانت القبيلة هي الوحدة الاجتماعية الفاعلة في حياة العرب، وللشيخ أو الزعيم الحكم المطلق في اتخاذ القرارات، سلماً وحرباً وكل ما له علاقة بالقبيلة، وله المشورة والرأي والأمر ولا يجوز الاعتراض عليه، لذلك خضع الشاعر لقوتين لا مفر منهما وهما: الحمية الجاهلية والتعصب القبلي، فما هو إلا سيف من سيوفها ورمح من رماحها، حَلاً وترحالا، نجدة وقتالا، ومما يثبت ذلك قول سيد قومه وأحد فرسانهم وحكمائهم دريد بن الصمة[4] القائل:

أمرتهم أمري بمنعرجِ اللوى ... فلم يستبينوا النّصحَ إلا ضُحى الغدِ[5]
وهل أنا إلا من غزيةَ إن عوتّ ... غويتُ وإن ترشُدْ غزيةُ أرشُدِ[6]

(١) تبعّ: هو زيد بن همال، من ملوك اليمن، سمّاه الله في كتابه العزيز تبّعا/ انظر المحبر/ لابن حبيب، ص٣٦٦. عادياً: أراد قوم عاد.
(٢) ذو القرنين: هرمس بن مبطون.... بن نوح/ م.ن، ص٣٩٣.
(٣) العصر الجاهلي/ يوسف الطريفي، ص٣٤، والنجاشي: لقب كل ملك في الحبشة.
(٤) انظر سرح العيون/ لابن نباته المصري، ص٣٦٤-٣٦٧.
(٥) منعرج: منعطف، اللوى: ما استدقّ من الرمل والتوى.
(٦) جمهرة أشعار العرب/ لأبي زيد القرشي، ص٢٧٤، تحرير التجبير/ لابن أبي الأصبع المصري، ص١٦٧.

بكل سهولة ويسر يتخلى الحكيم عن حكمته وإرادته وحرية اختياره للقبيلة ويظلّ بظلها ويرشد برشدها، وهذا هو اللاشعور الجمعي[1] القائل بتأثر الفرد وراثياً بأعراف أجداده ومعتقداتهم وسلوكهم وتقاليدهم وعاداتهم فيتحكم بسلوكه الاجتماعي والفكر دون أن يشعر ويعلم بذلك المد الوراثي، التأريخي، لذلك على الشاعر أن يتأقلم ويتكيف مع ظروف بيئته وكيان قبيلته ويتنازل عن إرادته ليذوب تماماً في بنيته الاجتماعية القبلية لإعلان ولائه لها، إذ لها الأولوية في كل شيء، وثانوية الوعي الفردي، والنزوع لتأكيد السلطة والنفوذ والحكم المطلق لشيخ القبيلة ليكون مقبولاً، محترماً فيها، وهو كذلك، ومن أكثر المهن رواجاً في الجزيرة العربية التجارة ورعي الأبل، وكانت القبائل تلاحق مساقط المياه ومراعي الكلأ لقلة الواحات وكثرة الصحارى وذلك للحصول على مصادر الحياة الرئيسة، لذلك كثرت النزاعات والحروب والغزوات بسبب ذلك، فكان الشاعر قلقاً، مهدّداً، لكثرة التحديات وتقلب الظروف البيئية والاقتصادية وما يتعلق بحياته كلها، إذ دوام الحال من المحال، لأن الحياة في تغيّر دائم ومتصل بكل مظاهر الوجود[2] كما يقول (هرقليطس)[3] اليوناني، ولابد من حدوث التغيّر كقوة وجودية تستفز العقل البشري وتثير وعي الإنسان وكل قواه ومداركه ومواهبه العقلية والنفسية والجسمية لمجابهة الصعوبات وتذليلها باتخاذ الحلول لها والتغلب عليها لإثبات قدرته ومسؤوليته الكونية، فكان لكل ظاهرة أو حركة أو صوت أثرها في نفسية

(١) قال بذلك عالم النفس السويسري (يونغ كارل) المتوفى سنة ١٩٦١/ موسوعة الفلسفة والفلاسفة/ د. عبد المنعم الحفني: ٢/ ١٥٧٠-١٥٧١، معجم العلوم الاجتماعية/ د. ناتاليا، د. توفيق سلوم، ص٧٣.

(٢) تأريخ الفلسفة اليونانية/ يوسف كرم، ص١٧.

(٣) فيلسوف يوناني صاحب مقولة التغيّر والتجديد، توفى سنة ٤٧٥ ق.م/ م.ن، ص١٧.

الشاعر ولابد من ردة فعل انعكاسية لتفسير الظواهر حسب إدراكه المعرفي وتجربته الحياتية وآفاق تفكيره، فاعتقد بمعتقدات كثيرة لم يثبت العلم صحتها ولكنها كانت مؤثرة في سلوك العرب جميعاً، إلا ما ندر من العقلاء الذين أنكروها ورفضوها كزيد بن عمرو بن نفيل[1]، ومن الممكن الاستئناس ببعض المعتقدات لعلاقتها بالتحديات التي كان يواجهها الشاعر إذ هو الأكثر إحساساً وتأثراً بها لصياغتها شعراً مخزوناً في الذاكرة العربية، واعتقدوا أن لكل شاعر شيطانه الخاص الذي نظم الشعر، إذ لابد من قوة خفية تجعل المرء شاعراً ذا موهبة وملكات لا توجد عند غيره، لهذا قال أبو النجم العجلي:

إني وكـــلّ شـــاعـــرٍ مـــن الـبـشر  شيطانهُ أنثى وشيطاني ذكـــر[2]

فجعل الشياطين إناثاً وذكورا ليثبت فحولته من خلاله شيطانه الذكر، أما الأعشى الأكبر فقد ذكر اسم شيطانه الذي ألهمه الشعر، وسمّاه (مسحلا) وشيطان خصمه باسم (جهنام) فقال:

دعـــوتُ خليلي مسحلاً ودَعـــوا له  جهنام جـدعـاً للهجين المـذّمـم
حباني أخي الجنيّ نفسي فـــداؤه[3]  بأفيحَ جيّاش العشيّات خـضرمِ[4]

وكان من عاداتهم زجر الطير والظباء عندما يريد أحدهم الرحيل أو العمل وعندما تنفر الظباء أو الطير ينظر إلى مسارها وإلى أين تتجه؟ فإذا تيامنت فهذا هو الفأل الحسن

---

(١) قال: عزلت الجنّ والجنّان عني  كذلك يفعل الجلد الصبور
فلا العزّى أدين ولا ابنتيها  ولا صفي بن طسم أدُيرُ
ينظر: العصر الجاهلي/ يوسف الطريفي، ص٢٣٨، ومات زيد سنة ١٧ ق.هـ/ م.ن، ص٢٣٧.

(٢) الأسطورة في الشعر العربي/ أحمد النعيمي، ص٩٤.

(٣) حباني: وهبني وأعطاني.

(٤) م.ن، ص٩١.

ويسمى ذلك الطير بالبارح وإذا تياسرت فهو الشؤم والفأل السيء وهذا هو السانح، فيتخلى عن إرادته ويلقي مسؤولية عدم الرحيل أو العمل على الظبي أو الطائر، وهذه عملية اسقاطية واضحة[1]، وهذا ما ورد في قول النابغة الذبياني:

زعم البوارحُ أن رحلتنا غداً وبذاك تنعابُ الغراب الأسودِ[2]
لا مرحباً بغدٍ ولا أهلاً بهِ إن كان تفريقُ الأحبّةِ في غدِ[3]

وذكر الغراب لتشاؤم العرب منه، إذ نعيقه نذير شؤم وفرقة وخراب، ثم ذكر السواد ليستفز الذاكرة الإنسانية ويستثير النفس لما فيه من الإيحاءات للموت والظلام والأحزان، وقال آخر:

أقول والطيرُ لنا سانحٌ يجري لنا أيمنهُ بالسعود[4]

وفي المثل العربي: من لي بالسانح بعد البارح[5]، يتمنى أن يحدث هذا، واعتقدوا بطرق الحصى على الأرض وملاحظة اتجاهاتها بعد اختيار ألوانها وأشكالها وأكثر ما تقوم بذلك النساء لمعرفة ما وراء الغيب من أحداث مبهمة وأمور غامضة، لأن الحاضر مقلق والمستقبل مجهول، وإن كانت غير مجدية لكنها مهمة لإعادة التوازن النفسي للفرد وإزاحة ما يقلقه وتهدئة خاطره، ولكن هنالك من أضرب عن هذا الاعتقاد ولم ير فيه نفعاً ولا ضرا، ليقظته الفكرية، وحصانته العقلية، وصدق حدسه وفراسته الفطرية، إذ أدرك تماماً أن كل شيء بيد الله عز وجل ولا يحيط علما بكل شيء إلا هو، وبهذا الاعتقاد

(١) معجم العلوم الاجتماعية/ د. ناتاليا، د. توفيق سلوم، ص٣٦١.
(٢) تنعاب: أراد نعيق الغراب.
(٣) ديوانه/ ابن السكيت، ص٢٩-٣٠.
(٤) لسان العرب: سنح.
(٥) م.ن: سنح أيضاً.

الصحيح تجاوز لبيد بن ربيعة عصره، ويعد رفضه نقلة نوعية في الوعي العربي، ليرفض ما اعتقدوه في طرق الحصى وزجر الطير والظباء، إذ لا يجوز الاعتقاد بجماد الحصى وبهائم الطير والظباء، فلا أحد يعلم وقت رحيله وانتهاء أجله إلا الخالق، إن تقدم أو تأخر، وما المرء إلا وديعة وسترد يوماً إلى من أودعها أرضاً وسماءا، وما أن يلد المرء حتى يموت، فلا نجاة ولا مناص ولا مهرب من المنايا، رسل الموت وخاتمة كل حياة، ولله يرجع الأمر كله الذي أحصى كل شيء عددا وأحاط بكل شيء علما، وبهذه المعاني والحكم البليغة، قال لبيد في جاهليته وتعد سبقاً فكرياً في سِفرِ القصائد العربية:

وما المرءُ إلا كالشّهاب وضوئه ... يحور رماداً بعد إذ هو ساطعُ[1]
وما المال والأهلون إلا ودائعُ ... ولابدَّ يوماً أن تُردّ الودائعُ
ولا تبعدنْ إن المنّية مؤعدٌ ... عليك فدانٍ للطلوع وطالعُ[2]
أتجزعُ مما أحدث الدهرُ بالفتى ... وأيّ كريم لم تصبْهُ القوارع؟[3]
لعمُرك ما تدري الضواربُ بالحصى ... ولا زاجراتُ الطير ما الله صانعُ!!
سلوهنّ إن كذّبتموني متى الفتى ... يذوق المنايا أو الغيث[4] واقعُ[5]

وهذه إشارة جلية للقضاء والقدر، إذ الموت، والنوائب، ونزول الغيث، والأجال، والحاضر والمستقبل من الغيب المحض الذي لا يحيط به علماً إلا الله وهو المقدّر وإليه يرجع الأمر كله، ولله الخلق والأمر من قبل ومن بعدكما ذكر لبيد، واعتقد العرب بأن

(١) يحور: يعود، يصير، يتحول.
(٢) فدان: قريب أجله، وطالع: طويل أجله.
(٣) القوارع: الدواهي والنوائب، قال سبحانه: القارعة ما القارعة ؟!
(٤) الغيث: هو المطر، سمّي بذلك لأنه يغيث البشر وينقذهم من الجفاف والجدب، وينزله الله سبحانه بقدر وبما ينفع الناس لأنه من الرحمة الإلهية.
(٥) ديوانه/ دار المعرفة، ص٥٦-٥٧.

الثيران والأبقار إذ عانت شرب الماء أخذ الجن بضربها لإجبارها على الشرب كرها، وهذا ما ذكره الأعشى الأكبر بقوله:

وإني وما كلفتموني وربّكُم ... ليعلمَ من أمسى أعقّ وأحربا[1]
لكالثور والجنيّ يضرب ظهرَه ... وما ذنبه إن عافتِ الماء مشربا[2]
وما ذنبه إن عانت الماء باقرٌ[3] ... وما أن تعاف الماء إلا ليضربا[4]

والمعتقدات كثيرة ولكن ذكرنا بعضها لما فيها من فائدة تدل على المستوى الفكري للشاعر وكيفية تعامله مع الظواهر الطبيعية والتعبير عنها شعرياً، إذ تثير مشاعره ومن ثم تتحداه وعليه إما التكيف معها أو مجابهتها، ويعد الموت المتحدي الأكبر الذي أشغل أذهان الشعراء إذ هو الحكم الفصل في تقرير مصير الإنسان وإنهاء حياته وهو من قضاء الله سبحانه وقدره، ولكن العرب لم يعرفوه كوحدة وجودية، قائمة بذاتها ولانفكاك بينهما، ولكن الشعراء ذكروه مجملاً، لا تفصيلا، وما قالوه فيه إرهاصات هيئت لظهوره في قابل الأيام، ويزخر الشعر الجاهلي بإشارات تدل على القضاء والقدر وفي بعض الأحيان يصرّحوا بوجوده ويذكرونه في أشعارهم، فقال طرفة بن العبد:

لعمرُك إن الموت ما أخطأ الفتى ... لكالطّول[5] المرخّى وثنياه في اليدِ[6]

(١) أعقّ: أكثر عقوقا، أحربا: أكثر شراسة وعداوة وحربا.
(٢) عافت: تركت الماء ولم تشرب.
(٣) باقر: مجموعة البقر مع رعاتها، مختار الصحاح/ محمد ابو بكر الرازي: بقر، وأهل اليمن يسمون البقرة، باقورة.
(٤) ديوانه/ شرح عبد الرحمن المصطاوي، ص٣٥.
(٥) الطوّل: الحبل الذي يطوّل للدابة لترعى فيه.
(٦) شرح القصائد العشر/ التبريزي، ص١٢٩، المعلقات العشر/ الزوزني، ص١١٥.

ويأخذ طرفة بإطلاق سراح خياله ليرى الموت شخصاً يتراءى له إذ له الخيار في اصطفاء ما يريد من الأحياء والمال وغير ذلك، فيقول:

أرى الموت يعتامُ الكرامَ ويصطفي[١] عقيلةَ[٢] مالِ الفاحشِ المتشدّدِ[٣]

وليس هنالك فترة بين الحدث ووقت حدوثه، فالزمان والمكان أمران وجوديان، ولا تقع الحوادث إلا بهما، لذا تجد طرفة يذكر الدهر وهو يريد عمر الإنسان، وما العمر إلا وحدات زمنية متتالية، وما هو إلا من تلك الوحدات، والدهر هو الشامل لما ذكرنا، فقال:

أرى الدهرَ كنزاً ناقصاً كلَّ ليلةٍ وما تنقصُ الأيـامُ والدّهرُ ينفدِ[٤]

والأيام ليست ملكا لبني البشر، بل هي معارة، وعمر الإنسان ليس بيده، وحياته من المجاز وليس الحقيقة، وما عليه إلا السبق بالخيرات وفعل كل ما هو جميل مادام العمر تخويلاً ومعارا، بهذه المعاني قال طرفة:

ومـــا الأيـــــامُ إلا مـــعـــارةً ما أسطعتَ من معروفها فتزّودِ[٥]

وقال حاتم الطائي ذاكراً الموت والأجل معاً، وهذه التفاتة ذكية واعتقاد صحيح وفطرة سليمة للاقتراب مما نحن فيه من البحث ليقول:

يسعى الفتى وحِمامُ الموتِ يُدركهُ[٦] وكـلَّ يـومٍ يُـدني للفتى أجـلا[٧]

---

(١) يعتام: يختار ويصطفي كذلك.
(٢) عقيلة كل شيء: أكرمه والعقيلة: الدرة في صدفتها.
(٣) شرح المعلقات العشر/ الزوزني، ص١١٤.
(٤) شرح القصائد العشر/ التبريزي، ص١٢٩.
(٥) م.ن، ص١٤٩.
(٦) الحِمام: قضاء الموت وقدره، لسان العرب: حمَّ.
(٧) ديوانه/ دار صادر، ص٧٣.

وهناك طفرة نوعية في الوعي العربي للانتقال من عشوائية التفكير إلى صدق الحدس ثم اليقين للوصول إلى حقائق الأشياء حين أكدّ الحارث الحضرمي وجود القدر المحتوم الذي لا يتقدم ولا يتأخر لكلّ حي، والسائق لذلك القدر هو الموت فقال:

وما من فتى في الناس إلا يسوقهُ إلى الموتِ يوماً لا محالةَ سابُقهْ
وكلّ فتىً يوماً وإن ضنّ رغبةً بصاحبهِ لابد يوماً يفارُقهْ[1]

وما قاله الشاعر دليل على أن الفطرة الإنسانية السليمة قادرة على استشراف المستقبل ومصير الإنسان المحتوم والوصول إلى حقائق الأشياء، والقدر إحداها الذي لا يتأخر ولا يتقدم[2] ساعة واحدة، فلا فرق بين أمير وفقير، وشحيح وكريم، إذ الموت يوحّد بينهم، وهم على مسافة واحدة من ظهر الأرض، وهذا ما قاله طرفة بن العبد:

أرى قبرَ نحّام بخيلٍ بمالهِ[3] كقبر غويٍّ في البطالةِ مُفسدِ[4]

أما عنترة العبسي فاتخذ التجريد أسلوباً لمعاتبة الدهر وكأنه شخص قد تجسّد أمامه إنساناً على مرمى البصر، طالباً منه التوأدة واللطف والأمان ثم ينتقل إلى المعنى الشمولي للدهر ووحدة من وحداته الزمنية ألا وهي الأيام ليقول:

أعاتبُ دهراً لا يلين لعاتبٍ وأطلب أمناً من صروف النوائبِ[5]
وتوعدني الأيام وعداً تغرّني وأعلم حقاً أنه وعدُ كاذبِ[6]

(١) العصر الجاهلي/ يوسف الطريفي، ص٩١.
(٢) قال سبحانه: ((إذا جاء أجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون)) الأعراف/ ٣٤.
(٣) نحّام: الحريص على الجمع والمنع من المال.
(٤) شرح القصائد العشر/ التبريزي، ص١٢٧.
(٥) حروف الدهر: نوائبه.
(٦) العصر الجاهلي/ يوسف الطريفي، ص٣١٣.

أما حاتم الطائي فقد ذكر القدر صراحة واعتقادا بقوله:

هل الدهرُ إلا اليوم أو أمسِ أو غدِ ... بذاك الزمانُ بيننا يتردّدُ

لنا أجلٌ إمّا تناهى إمامه[1] ... فنحن على آثارهِ نتوردُ[2]

وعلم تماماً أن الأرزاق بيد الله تعالى لا بيد غيره، وهذا يطلعنا لمعرفة المتميزين الأذكياء من الشعراء لصدق حدسهم وفراستهم ليذكروا صفة من صفات الذات الإلهية والأرض ملتهبة بعبادة الأوثان والأصنام، التي لا تضر ولا تنفع، فقال:

يقولون لي: أهلكتَ ما لك فاقتصرْ ... وما كنتُ لولا ما تقولون سيّدا

كلوا الآن من رزقِ الإلهِ وأيسروا ... فإنّ على الرّحمنِ رزقكمُ غدا[3]

والمنايا رسل الموت التي تفجأ الإنسان وتنهي حياته، وهي من الأمور الغيبية، إذ هي الحكم الفصل لتقرير مصيره ووجوده، وقد اعتقد عمرو بن كلثوم أنها مقدّرة على البشر بقوله:

وإنّ غداً وإن اليومَ رهنٌ ... وبعد غدٍ بما لا تعلمينا

وإنّا سوف تُدركنا المنايا[4] ... مُقدّرةٌ لنا[5] ومقدَّرينا[6]

وقال عروة بن الورد:

فإن فاز سهمٌ للمنيّةِ لم أكن ... جزوعاً وهل عن ذاك من متأخرِ[7]

---

(١) إمامه: طريقه الواضح.

(٢) ديوانه/ دار صادر، ص٤٠.

(٣) ديوانه/ دار صادر، ص٤١.

(٤) المنايا: الأقدار لقوله تعالى: ((من نطفة إذا تمنى)) أي: تقدّر. انظر النجم/ ٤٦.

(٥) أي: نحن مقدّرون لأوقاتها وهي مقدّرة لنا.

(٦) شرح القصائد العشر/ التبريزي، ص٣٢٣، ٣٣٤.

(٧) العصر الجاهلي/ يوسف الطريفي، ص٢٩١.

وهذه إشارة – لا غموض فيها – للقدر المحتوم الذي لا يتقدم ولا يتأخر، وما المنية إلا القدر نفسه ولكن باسم آخر، فلا وقاية لأحد، ولا فائدة من الرّقى، فالأمر واقع لا محالة، وللوارث ما بقي من المال والمتاع وهذا ما ورد في قول الممزّق العبدي:

هل للفتى من بناتِ الدّهرِ من واقٍ[1] أم هل لهُ من حِمام الموت[2] من راقِ[3]
هــوّن عليكَ ولا تولع بإشفاق فـإنّـما مالُنا لـلـوارثِ الـبـاقـي[4]

وأكد أحد الرجّاز أن القدر إذا جاء لا يُرد بعد أن أقسم بالله العظيم جل جلاله، فقال:

لـقـد عـلـمـتُ والأجـــلِّ الباقي أن لـن يـــردَّ الـقـدرَ الـــرَواقـــي[5]

فلا يستطيع الراقون ولا رقيّهم من ردّ القدر أبداً، وهذا دليل جلي على إيمان العرب بالآجال والقدر من خلال استقراء موروثهم الشعري، ومن الشعر الجميل والحكمة البليغة قول زهير بن أبي سلمى:

ومـن هـاب أسـبـابَ المنايا نيلّهُ وإن يرقَ أسباب[6] السماء بسلّم[7]

ومن الغرابة بمكان هو ذكره ما له علاقة بإحصاء أعمال العباد التي تدّخر وتُحصَى في كتاب ثم تُنشر يوم الحساب وهذا ما اتفق مع العقيدة الإسلامية قبل ظهورها، وربما

(١) بنات الدهر: المنايا، الأقدار، النوائب، الأيام.
(٢) حمام الموت: قضاؤه.
(٣) راقٍ: هو الراقي، والرقية: العوذة: التي تحمي الإنسان من عين الحسود أو الأرواح الشريرة، أو الأمراض المستعصية، ومنهم من يقرأ ثم ينفخ على الرقية لتثبيتها وتأكيد أثرها.
(٤) م.ن، ص١٤١-١٤٢.
(٥) لسان العرب: رقا.
(٦) هاب: خاف، يرقى: يصعد، أسباب السماء: مراقيه.
(٧) شرح المعلقات العشر/ الزوزني، ص١٥٢.

ذلك يكون من الإلهام الإلهي لأرباب الحكمة وأهل الصفا ودعاة الخير والمحبة والسلام وزهير واحد منهم، وهذا ما كان عليه من سمو الأخلاق والنوايا الحسنة وصدق المقال، وقد ذكر أن الله سبحانه يعلم السّر وأخفى، وهذا من المعاني الإسلامية أيضاً، التي وردت في القرآن الكريم[1]، فقال:

فـلا تكتمنّ اللهَ مـا في نفوسكم ليخفى ومـهـما يكتم اللهُ يْعلَمَ
يؤخّر فيوضَعْ في كتاب فيدَّخرْ ليومِ الحسابِ أو يعجّل فيُنقَمِ[2]

وقال أبو قلابة الهذلي:

لا تأمننّ ولـو أصبحتَ في حَـرم إن المنايا بجنبي كـلّ إنـسـانِ[3]
ولا تقولن لـشيء سـوفَ أفعلهُ حتى تبيّنَ ما يُمني لك المـاني[4]

أما أحيحة بن الجلاح فإنه يذكرنا بالمدرسة اللاأدرية[5] الفلسفية اليونانية التي تنكر معرفة العالم الموضوعي واستيعابه، فتكون المعرفة قاصرة على الظواهر وحدها دون جوهرها وحقيقتها، وهو مثال آخر وقف حائراً متردداً عما يحدث حوله من وقائع، يعجز عن فهما أو تفسيرها أو معرفة خاتمتها، إنه الاغتراب الفكري فعلاً، مستخدماً الأسلوب البلاغي تجاهل العارف[6]، وهو يسأل عما يعلمه حقيقة تجاهلاً منه لقصد التعجب من واقع الحال، والإفصاح عن حيرته بين واقع معاش، ومستقبل غامض،

(١) قال سبحانه: ((وإن تجهر بالقول فإنه يعلم السر وأخفى)) طه/ ٧.
(٢) شرح المعلقات العشر/ الزوزني، ص١٥٢، شرح المعلقات العشر/ التبريزي، ص١٧١-١٧٢.
(٣) في حرم: في حصن حصين فلا نجاة لك.
(٤) العصر الجاهلي/ يوسف الطريفي، ص٥٣-٥٤، يمني لك الماني: يقدّر ويعطي لك القادر وهو الله سبحانه.
(٥) تأريخ الفلسفة اليونانية/ يوسف كرم، ص٢٣٤.
(٦) تحبير التحبير/ لابن أبي الإصبع المصري، ص١٣٥-١٣٧.

وما وراء الغيب من مغيبات يعجز العقل من إدراكها، كالفقر والغنى والحَمل والرزق الجنين والموت، فقال:

وما يدري الفقيرُ متى غناهُ ... وما يدري الغنيُّ متى يعيلُ[1]
وما تدري وإن ألقحتَ شولاً ... أتلقحُ بعدَ ذاك أم تحيلُ[2]
وما تدري إذا ذمّرت سَقباً ... لغيركُ أم يكونُ لك الفصيل[3]
وما تدري وإن أجمعتَ أمرا ... بأي الأرضِ يُدركك المقيل[4]

وما ذكرناه من الشواهد الشعرية لدليل واضح على ورود إشارات ودلالات وإرهاصات فكرية تشير إلى اعتقاد الأصفياء، الأذكياء بالقدر والأجل، إذ لم يعد مجهولاً لديهم، ولكن العرب لم يحيطوا علماً كاملاً بمفهوم القضاء والقدر كوحدة وجودية، مترابطة، متلازمة، لا انفكاك بين الأمرين الإلهيين، قال لبيد بن ربيعة:

لله نافلةُ الأجلّ الأفضلِ ... وله العُلى وأثيث كل مؤثّل[5]
لا يستطيع الناس محوَ كتابه ... أنّى وليس قضاؤه بمبدّلِ[6]

بظهور الإسلام أزيلت الأوثان والأصنام، وأُلغيت الوثنية وأقرّ التوحيد، وانطفأت جذوة الحمية الجاهلية وقُلعت جذور التعصب القبلي، ليصبح المؤمنون أخوة

(١) يعيل: يفتقر.
(٢) الشائل: الناقة التي ترفع ذنبها يطرقها الفحل فإما تحمل منه أو لا تحمل.
والحائل: الناقة التي لم تحمل سنة أو سنتين أو سنوات، لسان العرب: حول.
(٣) ذمّر: أدخل الرجل يده في حياء الناقة ليعرف جنس الجنين ذكراً كان أم أنثى، لسان العرب: ذمّر. السقب: ولد الناقة، لسان العرب: سقب.
الفصيل: ولد الناقة إذا فصل عن أمه، لسان العرب: فصل.
(٤) جمهرة أشعار العرب/ لأبي زيد القرشي، ص٣٠١-٣٠٢.
(٥) النافلة: الهبة والعطية، المؤثل: كل أصل قديم، ولله سبحانه كل شيء.
(٦) ديوانه/ دار المعرفة، ص٨١، أنّى: كيف.

وتكون التقوى هي المقياس في سلم الرتب الاجتماعية، إذ لا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون[١]، وأكرمهم عند الله أتقاهم، فأبقى الإسلام ما اتفق مع مبادئه وقيمه من مكارم أخلاق وفضائل أعمال، وكان الصحابة رضي الله عنهم يسألون رسول الله (صلى الله عليه وسلم) عن معادن العرب فيقول: «فعن معادن العرب تسألوني؟ خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا»[٢]، وأمر رسول الله عليه الصلاة والسلام المسلمين الإيمان بالقدر، خيره وشره بقوله: «لا يؤمن عبد حتى يؤمن بالقدر، خيره وشره، حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه»[٣]، وسُئل عليه الصلاة والسلام: أرأيت أدوية نتداوى بها، أو رُقى نسترقي بها، وُتقى نتّقيها، هل تردّ من قدر الله شيئاً؟ قال: هي من قدر الله»[٤]، وطلب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) من أصحابه ألا يتنازعوا في القدر، فقد هلكت أمم بسبب ذلك الأمر، لأن الله سبحانه لم يأمرهم بالجدال والمخاصمة في القدر، بل أمرهم الإيمان به حسب، لقوله عز وجل: ((إنّا كلّ شيء خلقناه بقدر))[٥]، وقوله سبحانه: ((وكان أمر الله قدراً مقدورا))[٦]، وكذلك قوله تعالى: ((إن الله بالغ أمره وقد جعل الله لكل شيء قدرا))[٧]، ولم يبق كائن وموجود خارجاً عن دائرة القدر بهذه الآيات الكريمة، وأرزاق الخلق والكائنات جميعاً مقدّرة من عند الله تعالى، فيوسع الرزق ويبسطه لهذا، ويقبض ذاك،

(١) انظر، المؤمنون/ ١٠١.
(٢) صحيح مسلم/ شرح النووي: ١٥/ ١٣٤.
(٣) سنن الترمذي: ٤/ ٣٩٣.
(٤) سنن ابن ماجه: ٢/ ١١٣٧.
(٥) القمر/ ٤٩.
(٦) الأحزاب/ ٣٨.
(٧) الطلاق/ ٣.

لقوله عز وجل: ((الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له))[١]، فالرزق مقسوم ومقدّر لقوله سبحانه: ((نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا))[٢]، عن عبد الله بن عباس رضي الله عنه قال: «كنت خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا غلام!! إني أعلمّك كلمات، إحفظ الله يحفظك، إحفظ الله تجده اتجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء كتبه الله، وان اجتمعوا ليضروك لم يضروك بشيء إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رُفعت الأقلام وجفّت الصحف»[٣]، وقد أشغلت مسألة القدر الفلاسفة وأصحاب الديانات القديمة وحكماء الأمم الغابرة لتعلقها بالمصير الإنساني وخاتمة حياته، وما أن ظهر الإسلام وأقرّ القدر وبأنه أمر إلهي لقوله عليه الصلاة والسلام: «أول ما خلق الله عز وجل خلق القلم، فقال له: اكتب! فقال: يا ربّ، ما اكتب؟ قال: اكتب القدر»[٤]، وبعد ان علم المسلمون ذلك هدأت النفوس واطمأنت القلوب، واستقرت الأحوال، وزال الحسد والتنافس على الثروة والسلطة والجاه مادام كل شيء بقدر الله وقضائه، ولم يعد المسلم يزجر الطير والظباء ويجيل القداح[٥]، ويستقسم بالأزلام[٦]، ولا يسأل العرافين والكهنة، ولم يعد يهتم بطرق الحصى ونعيق

---

(١) الروم/ ٣٧.
(٢) الزخرف/ ٣٢.
(٣) أسد الغابة/ ابن الأثير: ٣/ ٩.
(٤) تأريخ الطبري: ١/ ٢٧.
(٥) لهذا قال ضرار بن الأزور الأسدي عند إسلامه:
خلعت القداح وعزف القيا ن والخمر أشربها والثّمالا
أسد الغابة/ ابن الأثير: ٢/ ٤٧٠.
(٦) لمعرفة مدى حظوظه ومستقبل حياته، انظر المحبر/ لابن حبيب، ص٣٣٢-٣٣٣.

الغراب والبحث عن التمائم والتعاويذ، وأغلقت الأبواب على شياطين الشعر وجن الثيران والبقر فانحسرت الخرافات والأساطير، فتركوا الميسر تماماً، بعد انتقالهم من ظلمات الجهل والوثنية إلى نور العلم والتوحيد، فكان لذلك الإقرار الإلهي والأحاديث النبوية الشريفة في القدر آثارها المؤثر في استفزاز حفيظة الوعي والذاكرة الإنسانية وقوى الإدراك العقلية والنفسية لممارسة حياة جديدة موسومة بالرقي الذهني المتفق مع حقيقة الأشياء والنهج الصحيح وروح العلم، إذ التجديد حالة وجودية متحركة نحو الأمام، ولها أثرها في تطور المجتمعات البشرية، ولولاها لتوقفت حركة التأريخ، فالمنهج الجدلي يفسر الحركة المطلقة عن طريق نضال الأضداد[1] والنجاح حليف الأكثر تقدماً ذهنياً وعلمياً، ولابد من وقوع ذلك التضاد من أجل مستقبل أفضل ومجتمع أكثر ازدهاراً وتطوراً، وهذا ما حدث بظهور الإسلام وإجهاض الوثنية، ولولا حركة التجديد والتغيّر الدائم، المتصل[2] لمفاصل الحياة كلها الفكرية والاجتماعية والدينية وغيرها لما وجدت حضارة، وما ارتفع بناء، وقال فيلسوف التجديد (هرقليطس)[3] اليوناني: إنك لا تنزل النهر مرتين ففي كل مرة تأتي حياة جديدة[4].

فالحياة في حركة دائبة ولا تستقر على حالة واحدة بل التعجيل والتغيّر من سماتها وقواها المؤثرة لتقدم الأمم وإصلاح المجتمعات الإنسانية لتكون أفضل مما كانت عليه، ورغم إيمان المسلمين جميعاً بالقدر، خيره وشره، ولكن العقل البشري لما يزل يتساءل عنه، لأن الوعي والإدراك والتفكير من قواه النضالية لمعرفة حقائق ما يسمع ويرى

(١) أصول الفلسفة الماركسية/ جورج بوليتزر، جي بيس، موريس كافين، ص٣٩.
(٢) تأريخ الفلسفة اليونانية/ يوسف كرم، ص١٧.
(٣) توفى سنة ٤٧٥ ق.م، م.ن، ص١٧.
(٤) م.ن، ص١٧.

ويحس به، ومن العبث إيقافها وردّها عما تريد الإحاطة به علما، فالتحجير مرفوض، لأن الإنسان خُلق ليعبد ويعلم ويعمل ما هو في صلاح دنياه وآخرته، ولا ضير أن يسأل عما له علاقة بمصيره ومطاف حياته للاستزادة المعرفية، وهذا ما كان من عمرو بن العاص حين سأل أبا موسى الأشعري عن القدر، قائلاً له: «يقدّر عليّ شيئاً ثُمَّ يُعذّبني عليه ؟ قال الأشعري: نعم!! قال عمرو: ولِمَ ؟ قال: لأنه لا يظلمك»[1]، فاقتنع وسكت ولم يحرِ جواباً. وبذلك تحرر عمرو من الكَبت الفكري والقلق النفسي، ما دام سؤاله متفقاً مع الشريعة وصدق الوحي وعلمية الإسلام ومنهجه الاستقرائي، وسيبقى ذلك السؤال يراود العقول ليثار في العصر الأموي والعباسي أيضاً، وسُئل علي عليه السلام عن القضاء والقدر فأجاب الشيخ السائل: «ويحك، لعلك ضننت قضاءً لازماً، وقدراً حتما، لو كان كذلك لبطل الثواب والعقاب.... إن الله أمر تخييرا ونهى تحذيرا....»[2]، وللإيمان بالقضاء والقدر آثاره في رفد المسلم بطاقة معنوية، وروح جهادية مدهشة، تجعل صدره درعاً لتقبل الصدمات واحتمال الشدائد سلماً وحربا، ونفسه مطمئنة لما يحدث ويتعرض له، من فقر بئيس، ومرض عضال، فلقد أزاح القلق النفسي منه تماماً، واعتمد عليه عند الملمات ونزول البلاء، والمصائب، والشواهد الشعرية شاهدة على ذلك، فحين أراد النابغة الجعدي الهجرة مجاهداً في فارس خافت امرأته عليه وتألمت من فراقه، وقلقت لابتعاده عنها وتركها وحيدة، فقال لها:

يا ابنة عمّي كتابُ الله أخرجني ... طوعاً وهل أمنعنَّ الله ما فعلا؟
فإن رجعتُ فربُّ الناسِ ارجعني ... وإن لحقتُ بربي ابتغي بدلا

(١) الملل والنحل/ الشهرستاني: ١/ ٨.
(٢) تأريخ المذاهب الإسلامية/ لأبي زهرة، ص١٠٠.

ما كنتُ أعـرج أو أعمى فيعذرني أوضارعاًمن ضنىً[1] لم يستطيع حولا[2]

فلا واقعة ولا حرب ولا قتال إلا بقضاء الله وقدره، لهذا يقتحم المسلمون ساحات الوغى دون وجل أو تردد ليقاتلوا من هم أكثر منهم عدّةً وعدداً ومتاعاً، فإما النصر أو الشهادة، ومن الوفاء للنبوة الإجابة والسمع والطاعة والصدام سجالا، مادامت الآجال بيد الله سبحانه، والقضاء واقع لا محالة، لقوله تعالى: ((إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويُقتلون...))[3]، وهذا ما قاله حسان في واقعة بدر[4]:

وفَـوا يـوم بـدرٍ للرسول وفوقهم ظـلالُ المنايا والسيوفُ اللوامعُ
دعـا فـأجـابـوه بـحـقّ كلّهم مطيعٌ لـه في كـلّ أمـرٍ وسـاطـعُ
فـما بـدّلـوا حتى تـوافـوا جماعةً ولا يقطعُ الآجـال إلا المصـارعُ
لأنهـم يـرجـون مـنـه شـفـاعـةً إذا لم يـكـن إل النبيين شـافـعُ
وذلـك يـا خـيرَ الـعـبـادِ بـلاؤنـا ومشهدُنا في اللهِ والمـوتُ فاقعُ[5]
لنا الـقـدمَ الأولى إليك وخلفنا لأوّلـنـا في طـاعـةِ الله تـابـعُ
ويـعـلـمُ أن المـلـكَ لله وحَـده وأن قـضـاءَ اللهِ لابـدَّ واقـعُ[6]

(١) ضرع: خضع وفي المثل: الحمى اخرعتني إليك، وأشار إلى قوله سبحانه: ((ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج)) الفتح/ ١٧
(٢) العصر الإسلامي/ د. شوقي ضيف، ص٣٧.
(٣) التوبة/ ١١١.
(٤) وقعت في السنة الثانية للهجرة، انظر السيرة النبوية/ لابن هشام: ٢/ ١٨٢، وشذرات الذهب/ الحنبلي: ١/ ٩.
(٥) ناقع: بالغ وثابت.
(٦) ديوانه/ عبد الرحمن البرقوقي، ص٣١٠، والسيرة النبوية/ لابن هشام: ٣/ ١٦٨-١٦٩.

وللشهادة منزلة كبيرة في نفوس المؤمنين، وللشهيد العلى والمقام الأجلّ إذا ذكرت المقامات، ولا تقع الشهادة ولا تكون إلا بقدر الله تعالى، وهذا ما قاله حسان عند استشهاد حمزة رضي الله عنه في واقعة أحد[1]:

فإن تذكروا قتلى وحمزةُ بينهم ... قتيلٌ ثوى للهِ وهو مطيعُ[2]

فإن جنانَ الخلدِ منزلهُ بها ... وأمُر الذي يَقضي الأمور سريعُ

ومن قضاء الله وقدره هلاك المشركين ورؤوس الكفر في بدر، ولا يجوز تفسير ذلك أنه أمر لازم وقهري دون اختيارهم وتفضيلهم الكفر على الإيمان، بل عَلِمَ الله تعالى في الأزل أنهم سيقومون بذلك، وسجّلت أعمالهمُ في صحائفهم ونفذت في الوقت المحدد لها، فقال كعب بن مالك:

عجبتُ لأمر اللهِ والله قادرٌ ... على ما أراد وليس للهِ قاهرُ

قضى يوم بدرٍ أن نلاقي معشراً ... بَغوا وسبيلُ الغي بالناسِ جائرُ

شهدنا بأن الله لا ربَّ غيرهُ ... وأن رسولَ الله بالحقّ ظاهرُ

فأمسوَا وقودَ النار في مستقرّها ... وكلّ كفورٍ في جهنمَ صائرُ

لأمرٍ أراد اللهُ أن يهلكوا به ... وليسَ لأمرِ حمّه[3] اللهُ زاجرُ[4]

وقد قاتل ضرار بن الأزور الأسدي مسيلمة الكذاب وأهل الردة في اليمامة فقطعت ساقاه فأخذ يحبو على ركبتيه ويقاتل طالباً وداعياً من الله سبحانه أن يغفر له ذنوبه ويوفقه لصالح الأعمال حتى وطأته الخيل بعدما قال راجزا:

---

(١) وقعت في السنة الثالثة للهجرة، م.ن: ٣/ ١٤-٢١، شذرات الذهب/ الحنبلي: ١/ ١٠.

(٢) ديوانه/ عبد الرحمن البرقوقي، ص٣١٠.

(٣) حمّه: قدّره.

(٤) السيرة النبوية/ لابن هشام: ٢/ ٢٦٤-٢٦٥.

عليك ربيّ في الأمــور المتكلّ[1] إغفر ذنــوبي إن دنــا مني الأجـل
يـا ربّ وفقّني إلى خـيرِ العمل ما لي سـواكَ في الأمـورِ من أمـل[2]

وهكذا استشهد فارساً، مجاهداً حتى تقطع أوصالا ولكن لم يلتفت لذلك وكل ما تمناه المغفرة والتوفيق من الله عز وجل إن دنا أجله، وله ما تأمّل، إذ لا يخيب من سأل رباً رحيماً، غفورا.

وقال عبد الله بن رواحة رضي الله عنه قبل استشهادة في واقعة مؤتة راجزا[3]:

هـل أنـتِ إلا إصـبـعٌ دميـتِ وفي سـبـيـلِ الله مـا لـقـيـتِ
يـا نـفـسُ إلا تُـقـتـلي تمـوتِ هـذا حِمـامُ المـوت قـد صليتِ
إن تسلمي الـيـومَ فـلـن تفوتي أو تُـبـتـلي فـطـالما عُـوفـيـتِ[4]

ولما علم المسلمون أن الأرزاق قد تكفّل بها الله سبحانه قل التنافس بينهم وأطفأت جمرة الحسد والغيرة، وأجهضت الأمراض القلبية والجسدية كلها، بعد أن زهدوا في الدنيا، واطمأنوا لمعيشتهم ودوام رزقهم، ولولا الإيمان بالقدر لما حصل كل ذاك، فهو الذي أمدّهم بمقومات الصلاح والصحة النفسية، ويا لها من نِعمَ تستحق الشكر والعرفان ورد الجميل الرحماني بالتقوى الخالصة وفعل الخيرات وجعل المال حبلاً للوصول إلى الرضوان ومحبة الله عز وجل، وهذا ما ورد عندما قال علي عليه السلام لنجله الحسين عليه السلام واعظاً، مرشدا:

أحـسـينُ إني واعـظٌ ومـؤدّبُ فـافـهـمِ فـأنـتَ الـعـاقـلُ المـتـأدبُ

(١) المتكلّ: الاتكال.
(٢) عصر صدر الإسلام/ يوسف الطريفي، ص٢٠٣.
(٣) وقعت في السنة الثامنة للهجرة، أسد الغابة/ ابن الأثير: ٢/ ٥٩٥.
(٤) عصر صدر الإسلام/ يوسف الطريفي، ص٢١٢.

ابـنـيَّ إن الـــرزقَ مـكـفـولٌ به فعليكَ بـالإجمـال فيما تطلبُ[1]
لا تجعلنَّ المـــالَ كسبكَ مـفـرداً وتُقى إلهك فاجعلنْ ما تكسبُ[2]
كـفِـل الإلـــهُ بـــرزق كـــلّ بـريـةٍ والمـال عاريةٌ تجـيء[3] وتـذهـبُ[4]

وطلب الأسود الدؤلي من الآخرين التوكل على الله وحده، والأخذ بأسباب المعيشة إذ هي من قدر الله سبحانه، إذ هو القابض والباسط، والمعطي والمانع، وبهذه المعاني قال:

ومـا طـلـبُ المـعـيـشـةِ بالتمنّي ولـكـن ألـــقِ دلـــوكَ في الـــدّلاءِ
ولا تـقـعُـدْعـلى كـــلِّ التمني تـمـيـلُ عـلى المـقـادِر والـقـضـاءِ[5]
فـــإن مـــقـــادر الـــرحمـــن تجـري بـــأرزاقِ الـعـبـادِ مـن الـسـمـاءِ[6]

وقوله أيضاً:

وفـــوّض إلى الله الأمـــور فإنه تـــروحَ بـــإرزاق عليكَ جـــدودُ[7]

وقال متعجباً من عاقل محروم وجاهل متخوم، ولكن تلاشى ذلك العجب لعلمه أن الأرزاق مقسومة أزلياً بين العباد وتنزل بقدر حسب أعمال العباد وصلاحهم وتقواهم:

وعـجـبـتُ للدنيا ورغـبـة أهلها والـــرزق فـيـما بينهم مـقـسـومُ

---

(١) الإجمال: قلة الطلب وعدم الإلحاح.
(٢) عليك بإفادة الناس بما تملك ولا تحرص عليه وحدك.
(٣) المال معار وتخويل من الله عز وجل لصرفه فيما ينفع الناس، ولا يبقى بيد واحدة بل هو متداول بينهم، فمرّة لك وأخرى لغيرك.
(٤) م.ن، ص٢٢٣.
(٥) لتقول: إن ما حصل لي قضاءً وقدرا إذا فشلت في عملك وهذا غير صحيح، بل عليك بالعمل والأخذ بالأسباب لأنها من قدر الله أيضاً.
(٦) ديوانه/ عبد الكريم الدجيلي، ص٢٢٤.
(٧) م.ن، ص٢٢٧، الجدود: الحظوظ وهي من قدر الله سبحانه أيضاً.

والأحمق المرزوق أعجب من أرى ... من أهلها والعاقل المحرومُ
ثم انقضى عجبي لعلمي أنه ... رزقُ موافٍ وقته معلومُ[1]

وهنالك ارتباط فعلي بين الأرزاق وعمل الصالحات وفعل الجميل وعلى قدر ذلك تكون الأرزاق لقوله تعالى: ((إن تقرضوا الله قرضاً حسنا[2] يضاعفه لكم ويغفر لكم والله شكور رحيم))[3]، لذلك قال أبو الأسود الدؤلي:

وإذا طلبت من الحوائج حاجةً ... فادعُ الإلهَ وأحسن الأعمالا
فليعطينّك ما أرادَ بقدرةٍ ... فهو اللطيفُ لما أرادَ فعالا
إن العبادَ وشأنَهم وأمورَهم ... بيدِ الإله يقلّبُ الأحوالا[4]

المنزلة الاجتماعية والعلمية والقبول على الأرض كلها بيد الله سبحانه، إذ يرفع مقام من يستحق ويخفض من أساء العمل، وعلى قدر الإخلاص والعمل يكون الجزاء والثواب، وهذا ما قاله سويد اليشكري:

كتب الرحمنُ والحمدُ له ... سعةَ الأخلاق فيها والضَّلَعْ[5]
وبناءً للمعالي إنما ... يرفعُ اللهُ ومن شاء وَضعْ
نِعمٌ لله فينا ربّها ... وصنيعُ الله، والله صَنعْ[6]

(١) م.ن، ص٢٣٦.
(٢) تقرضوا: عباد الله سبحانه لأنه غني عن العالمين.
(٣) التغابن/ ١٧.
(٤) ديوانه/ عبد الكريم الدجيلي، ص٢١٤.
(٥) الضلع: أراد الميل لفعل الخيرات.
(٦) عصر صدر الإسلام/ يوسف الطريفي، ص١٩٧. ربّعها: زادها.

حينما أهدر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) دم الشاعر كعب بن زهير نصحه أخوه بجير[١] بالاعتذار لرسول الله عليه الصلاة والسلام، بعد أن أساء بشعره للمسلمين، فجاء تائباً، معتذراً، معتقداً أن ما حصل له من قدر الله سبحانه وقضائه، وما في ذلك المعتقد من قوة دافعة وتحريض على الرحيل وملاقاة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وهكذا فوّض أمر لله تعالى حتى وصل المدينة[٢] وألقى قصيدته أمامه المعروفة بالبردة حتى قال:

وقالَ كلُّ صديقٍ كنتُ آملهُ ... لا ألهينّك إني عنكَ مشغولُ
فقلتُ: خلّوا سبيلي، لا أبالكم ... فكلّ ما قدّرَ اللهُ مفعولُ
وكلّ ابنِ أنثى وإن طالتْ سلامتهُ ... يوماً على آلةٍ حرباءَ محمولُ[٣]
أنبئتُ أن رسولَ اللهِ أوعدني[٤] ... والعفو عند رسولِ الله مأمولُ[٥]

إلى قوله:

إنّ النبيَّ لنورٌ يُستضاءُ به ... وصارمٌ[٦] من سيوفِ اللهِ مسلولُ[٧]

---

(١) أرسل له أبياتاً من الشعر، منها:
من مبلغ كعبا فهل لك في التي ... تلوم عليها باطلا وهي أحزم
انظر أسد الغابة/ ابن الأثير: ١/ ١٩٢.
(٢) كان وصول المدينة في السنة الثامنة للهجرة/ انظر السيرة النبوية/ لابن هشام: ٤/ ٨٠.
(٣) جمهرة أشعار العرب/ لأبي زيد القرشي، ص٣٦٩، الآلة الحرباء: نعش الميت.
(٤) أوعدني: أهدر دمي.
(٥) م.ن، ص٣٦٩.
(٦) الصارم: السيف القاطع.
(٧) م.ن، ص٣٧٠.

حتى نهاية القصيدة فأمنّه رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وألقى عليه بردته الشريفة استحساناً وقبولاً لعذره وتوبته، فصلح حاله وأخذ بالثناء على الأنصار وجميع المسلمين بعد إسلامه، وأكد كعب اعتقاده بالقدر عندما قال:

لو كنتُ أعجبُ من شيءٍ لأعجبني  سعيُ الفتى وهو مخبوءٌ له القدرُ[1]

وكل ما يطرق الإنسان من بلاء ومرض ومصائب، وما تصدر بحقه الأحكام، وما يتكلم به ويفعله ويعزم على القيام به معلوم عند الله تعالى منذ الأزل ولكنه موقوف على الظرف الزمني، والوقت المحدد لوقوعه وتحقيقه، فعندما غدر يهود بني قريظة ونقضوا العهد وحزّبوا الأحزاب[2] على رسول الله عليه الصلاة والسلام أمر الله سبحانه رسول الله صلى الله عليه وسلم للسير إلى بني قريظة[3] وقتالهم[4]، فسار إلى حصنهم وحاصرهم خمساً وعشرين ليلة «حتى جهدهم الحصار، وقذف الله في قلوبهم الرعب»[5]، فطلب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) من سعد بن معاذ أن يحكم فيهم، فلما علم بنو قريظة بذلك رضوا بحكم سعد واستسلموا، فقال سعد: «فإني أحكم فيهم أن تُقتل الرجال، وتُقسم الأموال، وتُسبى الذرّاري[6] والنساء»[7] فقال عليه الصلاة والسلام: «لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعة»[8]، وجئ بزعيم بني قريظة حيي بن

(١) أسد الغابة/ ابن الأثير: ٣/ ٥٢٩.
(٢) السيرة النبوية/ لابن هشام: ٣/ ١٢٧.
(٣) سار إليهم في السنة الخامسة للهجرة، م.ن: ٣/ ١٤٠.
(٤) م.ن: ٣/ ١٤٠.
(٥) م.ن: ٣/ ١٤٢.
(٦) الذراري: الأولاد.
(٧) م.ن: ٣/ ١٤٦.
(٨) م.ن: ٣/ ١٤٦، الأرقعة: السماوات.

أخطب مغلولا فقال صلى الله عليه وسلم: «أما والله ما لمت نفسي في عداوتك ولكنه من يخذل الله يُخذل»[١]، ثم قال: «أيها الناس، إنه لا بأس من أمر الله، كتاب وقدر، وملحمة كتبها الله على بني إسرائيل»[٢]، ثم قدم حيي وضربت عنقه[٣]. إن كل ما حدث كان مما قضى الله وقدرّ، فقال حسان بن ثابت معتقداً ما اعتقده نبيه الكريم صلى الله عليه وسلم بعد استشهاد سعد بن معاذ رضي الله عنه:

فأنتَ الـذي يا سعدُ أبـتَ بمشهدٍ ... كريم وأثـواب المكارم والحمدِ[٤]
بحكمك في حيي قريظةَ بالذي ... قضى اللهُ فيهم ما قَضيتَ على عمدِ
فـوافـق حكمَ اللهِ حكمُك فيهم ... ولم تقفُ إذ ذكرت ما كان من عهدِ
فنِعمَ مصيرُ الصادقين إذا دعوا ... إلى اللهِ يوماً للوجاهةِ والقصدِ[٥]

وتتجلى نعمة القضاء والقدر عند نزول الموت في يوم عصيب، والمرء أحوج ما يكون للمفقود، ولكنه نِعمَ الدواء والمواسي للخراني، والمهدئ للخواطر، والمنقذ عاطفياً لمن تألم وتمزّق أسفاً على ما حدث، لتدمع العين ويحزن القلب على عزيز، وحبيب فارقه، فهو المرهم الروحي، الشافي، المزيل للحسرات والآهات، ليصبح المرء هادئاً، راضياً بما قضى الله وقدّر، صابراً على ما أبتلي به، فكيف إذا فقد الإنسان رسول الأمة، وواسطة الوحي السماوي، ومنقذ البشرية، وهادي النفوس الحائرة، خاتم الأنبياء والمرسلين والرحمة المهداة من رب العالمين، ليقول حسان بن ثابت راثياً النبوة الشريفة[٦]:

---

(١) م.ن: ٣/ ١٤٧.
(٢) م.ن: ٣/ ١٤٧.
(٣) م.ن: ٣/ ١٤٧.
(٤) م.ن: ٣/ ١٥٣، فتحت أبو السماء واهتز العرش لموت سعد رضي الله عنه. أبت: رجعت.
(٥) السيرة النبوية/ لابن هشام: ٣/ ١٦٨.
(٦) انتقل إلى الرفيق الأعلى صلى الله عليه وسلم في السنة الحادية عشرة للهجرة، شذرات الذهب/

كـان الضياءَ وكـان الـنـور نتبعهُ بعدَ الإلـهِ وكـان السمعَ والبصرا
لم يـتركِ اللهُ مّـنـا بـعـده أحـداً ولم يـعـشْ بـعـدَه أنـثـى ولا ذكـرا
ذُلّـتْ رقـابُ بني النجارِ كلهمُ[1] وكـان أمـراً وأمـر الله قد قُـدرا[2]

وحينما استشهد الكثير من المسلمين في واقعة مؤتة[3]، قال حسان رضي الله عنه مؤكداً أن ما جرى لهم من قضاء الله وقدره، أما بقاؤه، لأن أجله لم يحن بعد، حسب العلم الإلهي الأزلي والأمر الإلهي:

بـلاءٌ وفـقـدانُ الحـبـيـبِ بليّةٌ وكـم مـن كـريـم يُبتلى ثـم يصبرُ
رأيـت خـيـارَ المـؤمـنـين تتابعوا شعوبَ وقد خُلّفتَ فيمن يؤخّرُ[4]
فما زال في الإسـلام من آل هاشم دعـائـم عـزّ لا يُـرام ومـفـخـرُ[5]
هـمُ أوليـاءُ اللهِ أنـزلَ حكمتهً عليهم وفيهم ذا الكتابُ المطهّرُ[6]

وعندما تعتلي السويف الرقاب، وتغرز الرماح في صدور المقاتلين، ويحمى الوطيس، وتصطدم الخيول، بين الجانبين المتقاتلين، ينهض القدر صولةً وعزيمةً وجلاداً وجرأةً لينتفض المجاهد المسلم شعلة من الإيمان والإصرار على النصر، صابراً، محتسباً ما عند الله تعالى من الأجر والثواب والرضا، مرحباً بقضاء الله وقدره، إذ هو الدرع المزرّد والحصن الحصين الذي يتدرّع به المؤمن، والقوة المعنوية الروحية التي تهز الوجدان

---

الحنبلي: ١/ ١٤، مرآة الجنان/ اليافعي: ١/ ١٧-٦٣.

(١) لم يرد الذل المعروف، ولكنه أراد غياب رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهم.
(٢) ديوانه/ عبد الرحمن البرقوقي، ص٢٢٠.
(٣) مرّ ذكرها.
(٤) شعب الشيء: فرّقه. شعوب: متفرقين.
(٥) لا يرام: لا يصل أحد ولا يفكر بالوصول إليها.
(٦) ديوانه/ عبد الرحمن البرقوقي، ص٢٣٥، ٢٣٧، السيرة النبوية/ لابن هشام: ٤/ ١٨.

وتطلق كل ما فيه من طاقة قتالية وروح جهادية ليصبح قطعة من حديد ومن عاداه من خشب، وهذا ما جرى في واقعة صفين في السنة السابعة والثلاثين للهجرة[١] بين علي عليه السلام ومعه العراقيون ومعاوية الذي أخطأ المسار ومعه الشاميّون، وأراد أحد جند معاوية واسمه عروة بن داود الدمشقي مبارزة علي عليه السلام فحمل عليه علي عليه السلام فضربه ضربة حيدرية فقطعته إلى نصفين[٢]، فارتج العسكر لهول الضربة وقوتها، فقال عبد الله بن عبد الرحمن الأنصاري مثنياً على علي عليه السلام ذاكراً شجاعته وقوته:

عــروَ يــا عــروَ قــد لقيتَ حِماما ... إذ تقحمّت في حِمى الـلـهـواتِ[٣]
إن لله فــارســاً كــأبي الـشـبـ ... ـلِـين مـا أن يهـولـهُ المـتـلـفـاتِ[٤]
مـؤمـنـاً بـالـقـضـاء محتسباً بالـ ... ـخير يرجُو الثوابَ والسابقاتِ[٥]

أما حريث فكان من موالي معاوية ومن جنده أراد مبارزة علي عليه السلام أيضاً، فنصحه معاوية ألا يفعل، معترفاً بفروسية علي عليه السلام وما بارزه أحد إلا قتله، فلم يأخذ بالنصيحة بعد أن شجعه عمرو بن العاص وما أن تقدم حتى قطعه سيف علي إلى نصفين فقال معاوية فيما حدث منصفا علياً عليه السلام، معترفاً بشجاعته وقوته:

حريثُ ألم تعلم وجهلُك ضائرٌ ... بـأن علياً لـلـفـوارس قـاهـرُ[٦]

(١) مرآة الجنان/ اليافعي: ١/ ١٠٠-١٠٥، شذرات الذهب/ الحنبلي: ١/ ٤٤-٤٦.
(٢) وفي المعركة أيضاً قتل علي مبارزة أحد أبطال معاوية واسمه الذيب الحميري/ انظر م.ن: ١/ ٤٦.
(٣) الحِمام: قضاء الموت. تقحمت: رميت نفسك في سير الحرب ولهيبه.
(٤) أبو الشبلين: هما الحسن والحسين عليهما السلام.
(٥) وقعة صفين/ المنقري، ص٤٥٩.
(٦) أراد بأن جهلك بقوة علي عليه السلام قد اضرّك كثيراً وأدى لقتلك.

وإن عـلـيـاً لم يـبـارزهُ فـارسٌ من الناس إلا أقصدته الأظافرُ[1]
أمـرتـكَ أمـراً حـازمـاً فعصيتني فجدُّك إذ لم تقبلِ النصحَ عاثرُ[2]
ودلاك عمرو والحـوادث جمّـةٌ[3] غـروراً وما جرَتْ عليكَ المقادرُ[4]

فقد أكد معاوية أن ما حدث لحريث وقتله هو من قضاء الله وقدره، وما ذكرناه من شواهد مقنعة وصادقة تدل على الآثار البليغة للقضاء والقدر ورفد المرء بقوى التحدي ومجابهة الظروف الاستثنائية وتحمّل المشاق، وثقل النوائب وأوزار المصائب، وعسر اليد، بالرضا بما قضى الله وقدر وفي ذلك اطمئنان القلب، وراحة النفس وسراحها من قيود المادة وزخارف الدنيا الفانية، فالرزق مقسوم ومكفول، والأجل آت لا محالة، وبالإيمان بالقدر خيره وشره، يكون الخلاص والخاتمة المرضية السعيدة.

(١) هنا التفت إلى ما قاله أبو ذؤيب الهذلي:
وإذا المنية أثبت أظفارها ألفيت كلّ تميمة لا تنفع
انظر أسد الغابة/ ابن الأثير: ٤/ ٤٤٠.
(٢) فجدّك: فحظّك.
(٣) جمّة: كثيرة.
(٤) وقعة صفين/ المنقري، ص٥٧٣.

# المراجع والمصادر

القرآن الكريم.

١. أديان الهند الكبرى، د. أحمد الشلبي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط٩، ١٩٩٠م.

٢. أسد الغابة، ابن الأثير، تحقيق الشيخ خليل مأمون، دار المعرفة، بيروت، ط٤، ٢٠٠٩م.

٣. الأسطورة في الشعر العربي قبل الإسلام، د. أحمد إسماعيل النعيمي، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ط١، ٢٠٠٥م.

٤. أصول الفلسفة الماركسية، تأليف: جورج، جي بيس، موريس، تعريب شعبان بركات، منشورات المكتبة العصرية، بيروت – صيدا.

٥. تأريخ الفلسفة اليونانية، يوسف كرم، دار القلم، بيروت، ط٣، ن – ت.

٦. تأريخ المذاهب الفلسفية، لأبي زهرة، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩٦م.

٧. تحرير التحبير، لابن أبي الأصبع المصري، د. حفني محمد، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، ١٩٩٥م.

٨. جمهرة أشعار العرب، لأبي زيد القرشي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٨٦م.

٩. ديوان أبي الأسود الدؤلي، تحقيق عبد الكريم الدجيلي، شركة النشر والطباعة العراقية المحدودة، بغداد، ط١، ١٩٥٤م.

١٠. ديوان الأعشى الأكبر، عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة، بيروت، ٢٠٠٥م.

١١. ديوان حاتم الطائي، دار صادر، بيروت، ن – ت.

١٢. ديوان حسان بن ثابت، عبد الرحمن البرقوقي، دار الأندلس، بيروت، ١٩٨٠م.

١٣. ديوان لبيد بن ربيعة، دار المعرفة، بيروت، ط١، ٢٠٠٤م.

١٤. ديوان النابغة الذبياني، ابن السكيت، تحقيق شكري فيصل، دمشق، ١٩٦٨م.
١٥. سرح العيون، ابن نباته المصري، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت – صيدا، ١٩٨٦م.
١٦. سنن ابن ماجه، لأبي عبد الله القزويني، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، المكتبة العلمية، بيروت، ن – ت.
١٧. سنن الترمذي، لأبي عيسى الترمذي، تحقيق أحمد محمد شاكر، المكتبة الثقافية، بيروت، ن – ت.
١٨. السيرة النبوية، ابن هشام، طه عبد الرؤوف، شركة الطباعة الفنية المتحدة، القاهرة، ١٩٧٤م.
١٩. شذرات الذهب، لابن العماد الحنبلي، دار المسيرة، بيروت، ط٢، ١٩٧٩م.
٢٠. شرح القصائد العشر، الخطيب التبريزي، تحقيق د. فخر الدين قباوة، ط١، ١٩٦٩م.
٢١. شرح المعلقات العشر، لأبي عبد الله الزوزني، منشورات مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٨٩م.
٢٢. شعر الراعي النميري، د. نوري القيسي، هلال ناجي، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد، ١٩٨٠م.
٢٣. صحيح مسلم، شرح يحيى ابن شرف النووي، المطبعة المصرية بالأزهر، القاهرة، ط١، ١٩٢٩م.
٢٤. عصر صدر الإسلام، يوسف عطا الطريفي، الأهلية للنشر والتوزيع، الأردن – عمان، ط٢، ٢٠٠٩م.
٢٥. العصر الجاهلي، يوسف عطا الطريفي، الأهلية للنشر والتوزيع، الأردن – عمان،

ط٢، ٢٠٠٨م.
٢٦. العمدة، ابن رشيق القيرواني، دار الجيل، بيروت، ١٩٣٤م.
٢٧. القدر والإنسان، محمد جلوب، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط١، ١٩٨٦م.
٢٨. الكامل في التأريخ، ابن الأثير، تحقيق الشيخ خليل مأمون، دار المعرفة، بيروت، ط٢، ٢٠٠٧م.
٢٩. لسان العرب، ابن منظور الأفريقي(ت:٧١١هـ)، دار صادر، دار بيروت، بيروت، ١٩٦٨م.
٣٠. لامية العرب، الشنفرى، منشورات مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٨٥م.
٣١. المحبر، ابن حبيب البغدادي، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ن – ت.
٣٢. ما القدر، محمد قرقنجي، مطبعة الحوادث، بغداد، ط١، ١٩٨٦م.
٣٣. مرآة الجنان، لأبي محمد اليافعي، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط١، ١٣٣٧هـ.
٣٤. مسألة القضاء والقدر، عبد الحليم محمد قنبس، بيروت، ١٩٨٠م.
٣٥. معجم العلوم الاجتماعية، د. ناتاليا، د. توفيق سلوم، دار التقدم، موسكو، ط١، ١٩٩٢م.
٣٦. الملل والنحل، لأبي الفتح الشهرستاني، دار الكتب العلمية، بيروت، ن – ت.
٣٧. موسوعة الفلسفة والفلاسفة، د. عبد المنعم الحفني، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط٣، ٢٠١٠م.
٣٨. وقعة صفين، لنصر بن مزاحم المنقري، تحقيق شرح عبد السلام هرون، مكتبة الخانجي، مصر، ط٣، ١٩٨١م.